**الجزء 2 من المحور الخامس: نظام الحكم في المغرب الأقصى:**

**-الحضارة المغربية في عهد السعديين: الاجتماعية و الاقتصادية الفكرية و العمرانية:**

**4-1- المظاهر الاجتماعية:**

**\*عودة الاستقرار و نمط الحياة الاجتماعية:**

**مع انتشار السعديين و نفوذهم استقرت أوضاع** المجتمع المغربي مند أواسط القرن 16م فعمرت مدن ساحلية و تراجع البرتغاليون عنها كما أسست مدن اخرى مثل تطوان و شفشاون و تارودانت و عرفت مدن اخرى توسعا عمرانيا زيادة على ارتفاع عدد السكان بسبب الاستقرار و اتساع حدود المغرب بالسيطرة على الصحراء و ضم السودان لكن اتسم المجتمع المغربي بطغيان حياة البداوة و ضعف الحضر.

**\*انفتاح المجتمع المغربي على التأثيرات الخارجية:**

عرف المغرب انفتاحا مهما على الخارج خلال ق16م عبر توافد عناصر بشرية انصهرت تدريجيا داخل مجتمعه، منهم الأندلسيون و أعداد من الأتراك العثمانيون في إطار المساعدة العسكرية و أعداد كبيرة من السودانيين للخدمة و عناصر أوربية قدمت للتجارة ،إضافة إلى أعداد كبيرة من الأسرى، ليتلقى المجتمع المغربي مؤثرات حضارية انضافت الى حضارته العربية الإسلامية ،و مست التأثيرات الحضارية التي تلقاها المجتمع المغربي في ق16م مجالات مختلفة من الحياة اليومية للسكان من لباس و عادات و موسيقى و لغة.

**4-2- المظاهر الاقتصادية:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| الفلاحة | الصناعة و الحرف | التجارة الداخلية و الخارجية |
| شكلت الفلاحة النشاط الرئيسي للسكان إلا أنها تميزت بمحدودية الانتشار و تقنيات عهود سابقة  و اعتمد القطاع الزراعي على زراعة قصب السكر كمتوج رئيسي خصصت له مزارع واسعة ليتم التعامل بها مع اوربا.  و زراعات اخرى كزراعة الحبوب و القمح والشعير و الذرة في ظل غراسه الأشجار و تربية النحل لإنتاج العسل.  و احتلت تربية الماشية الصدارة | عرف النشاط الحرفي و الصناعي انتعاشا كبيرا و الذي كان يقوم على تحويل المواد الاولية الفلاحية و المعادن المحلية ليظهر تنوع بين الأقاليم في الصناعات و الحرف.  فقد اشتهرت سوس و الأطلس الصغير و تافيلالت بالصناعات النحاسية و دكالة بمصنوعاتها الصوفية .  كما عمل السعديون على تطوير صناعات جديدة بالاستفادة من خبرات المورسكيين والأوربيين التقنيين ، واهم و ابرز هذه الصناعات صناعة السكر والذي شكل قطاعا حيويا للرفع من مداخيل الدولة. | لم تكن حركة المبادلات الداخلية ذات حجم كبير فمعظم الساكنة استقرت بالبوادي واعتمدت في عيشها على إنتاج حاجاتها الأساسية بالتبادل الأسبوعي في الأسواق و بعض المدن كمراكز رئيسية للحركة.  كما نشطت حركة التجارة الخارجية و إنعاش الإنتاج الوطني بزيادة حركة التبادل التجاري مع الخارج بالاستفادة من العوائد الجمركية و قدوم إعداد من التجار مع الخارج. |

**4-3- المظاهر الفكرية:**

عرفت الحياة الفكرية في المغرب انتعاشا كبيرا فقد تعددت المراكز العلمية و تزايد عدد المؤلفات في مختلف المجالات العلمية.

* **مظاهر الحياة الفكرية وعوامل انتعاشها:**

-استعادت الحياة الفكرية نشاطها تدريجيا في المغرب منذ أواسط القرن 16 بعد خمول طويل، بسبب الاستقرار التدريجي لأوضاع البلاد، وأيضا تفتح المغرب على الخارج و توافد إعداد من المفكرين من الأندلس و السودان و من المغربين الأوسط و الأدنى ،مما أغنى الحركة الفكرية بما حملوه من فنون ومعارف.

* **مجالات النشاط و الإنتاج الفكري:**

- كان النشاط الفكري خلال العهد السعدي بمثابة استمرار للحركة الفكرية السائدة سابقا، بحيث شمل عدة علوم منها العلوم الشرعية أو النقلية و العلوم العقلية إضافة لتعريب عدة كتب.

- الرصيد الهام الذي خلفه مفكرو و أدباء العصر السعدي شملت 3 أنواع رئيسية (المختصرات-الشروح و الحواشي -المؤلفات الأصلية) ، إضافة إلى استنساخ واسع للكتب و قراءتها و انتقائها في ظل انتشار المكاتب العامة و الخاصة.

4**-4- المظاهر العمرانية و خصائص الفن المعماري السعدي:**

**\*نشاط المنشات العمرانية السعدية**

نشطت حركة العمران في الجنوب وطوال بداية انتشار حكم السعديين ،فقد أعادوا بناء و توسيع و تجديد عدة أماكن , والاهم بناء ضريح السعديين و إقامة قصر البديع، ليمتد نشاطهم نحو المناطق الشمالية لاحقا عبر أعمال تحصينية.

\*استمرار الفن المعماري المغربي الأندلسي عبر الفن المعماري السعدي بحيث حافظوا على مواد البناء بها و ادخلوا تحسينات عليها مع الحفاظ على نفس أسلوب التجميل داخل البناءات.

كما حسمت هذه المعركة مسالة الحكم والصراع حول السلطة داخل جهاز المخزن السعدي، وزادت من هيبة الدولة بين القبائل والزوايا، مما أتاح للمخزن الاهتمام بتوسيع نفوذه وبناء قوته بعد الحرب، كما مكن هذا الانتصار خزينة الدولة من مكاسب مادية مهمة انعكست ايجابيا على المجال الاقتصادي والعسكري، وهكذا تمكن السعديون من ضمان توحيد المغرب ورد الأطماع، فدخلت البلاد عهد احمد المنصور مرحلة من الاستقرار والبناء والتجديد.

**ثالثا: تدهور السعديين وتفكك المغرب:**

**1-عوامل تدهور الدولة السعدية وتراجع نفوذها:**

**1-1-العوامل السياسية:**

-مشاكل العرش: على الرغم من الأمجاد التي حققها المنصور في مختلف الميادين ،فانه أساء إلى الدولة بتولية العهد احد أسوا أبنائه سيرة، ففتح بذلك خرقا استحال وثقه، وقضت الدولة قرابة نصف عمرها في نزاع مسلح على العرش منذ وفاة المنصور، وهذا النزاع عطل كل جهود الدولة تقريبا عن العمل السلمي المجدي وعن مواجهة المحتلين الدخلاء، وكان تقسيم المغرب إلى مملكتين هما مملكة مراكش ومملكة فاس بين أبناء المنصور اكبر مشجع لهم على التمرد وعدم الامتثال للملك المنصب.

- الاعتماد على العلوج في الجيش: كانت القيادة العسكرية كثيرا ما توكل إلى العلوج ومن على شاكلتهم، وكان في الجيش عناصر مسيحية كثيرة من عدة أجناس، مما جرأ أدعياء العرش على أن يستنجدوا مرارا بالمسيحيين، وبذلك فقدت الثقة في العناصر الوطنية التي كانت توجد في الغالب تحت قيادة أتراك أو مرتزقة من أصل مسيحي، وهاته العناصر قامت بدور ملحوظ في الدس للدولة وإحباط كل خطة تهدف إلى تقويتها وتركيز دعائمها، كما قاموا بتسميم عبد الملك المعتصم، والاتصال سرا باتراك الجزائر وقتل المهدي الشيخ.

- التدخل الأجنبي: كان التدخل الأجنبي من عوامل قيام الدولة، كما كان من عوامل سقوطها أيضا فمنذ بدا القائم بنشاطه السياسي تصدى لحرب البرتغال الذين لم يتوقف الصراع ضدهم إلا في عهد المنصور لتستأنف بعده على يد الصوفية. وقد تبنى فيليب الثاني سياسة الدس والحقد التي سلكها البرتغال من قبل وبعد، فدبر مع الثائر محمد الشيخ الخطة للاستيلاء على العرائش، ثم استولى فيليب الثالث على المعمورة. وكذلك تعاون الإسبان أحيانا مع الموريسكيين على حساب المغرب وغيرهم...

- الحركات الاستقلالية: وتولدت نتيجة لضعف الملوك عن ضبط شؤون الدولة ومواجهة التدخل الأجنبي، وقد أدت إلى إضعاف هيبة الدولة وحدت من مواردها ومزقت صفوفها.

**1-2 –العوامل الاجتماعية والاقتصادية:**

- عرف المغرب موازاة للاضطرابات السياسة تعاقب فترات من الأوبئة والجفاف. "انظر النص المرفق"

- من بين القطاعات الاقتصادية التي تضررت أكثر نجد تلك التي تشكل موردا رئيسيا لخزينة الدولة، بحيث أدى تلاشي إشراف الدولة على صناعة السكر بسبب الحروب والأوبئة، إلى إتلاف المزارع وتخريب معاصر السكر، ومن ثم تراجع إنتاجه بالمغرب، وقد ظهرت في نفس الوقت مناطق تنافس المغرب في إنتاجه,

وانخفضت موارد القوافل الصحراوية من الذهب كذلك بسبب تراجع النفوذ السعدي عن السودان وعن منطقة توات المركز الأساسي للقوافل القادمة من السودان. وبذلك تحول جزء مهم من تجارة القوافل نحو الولايات العثمانية، وتحول جزء مهم من التجارة السودان لصالح الأوربيين المتمركزين بالسواحل الإفريقية,

**2-النتائج المترتبة عن تدهور الدولة السعدية:**

**2-1-ظهور قوات سياسية جديدة وتجزئة المغرب:**

**- حركة المجاهد العياشي:**

ظهر محمد العياشي في البداية كأحد المتطوعين للجهاد في منطقة دكالة حوالي 1613.بعد ذلك تولى قيادة حركة الجهاد في المنطقة الشمالية الغربية من المغرب، وشرع في تنظيم حملات هجومية مستمرة ضد الثغور المحتلة. واتسع مجال تنقلاته الجهادية ليشمل طنجة والعرائش والمعمورة بل وحتى سبتة والبريجة. وتمكن عبر حملاته الموفقة من تضييق الخناق على المحتلين وإلزامهم على الاحتماء وراء الحصون، لكن حركة المجاهد العياشي لم تطل بسبب ضعف إمكانياته المادية، وعدم انضباط القبائل التابعة له، ودخوله في صراع مع المورسكيين بعدهم الدلائيين الذين تآمروا على اغتياله سنة 1641.

- حركة الجهاد البحري:

اتخذت اسبانيا سنة 1609 قررا لطرد المسلمين المتبقين بها بعد فشلها في قمعهم , وتوافدت بسبب ذلك على المغرب أفواج كبيرة منهم واستقر بعضهم في تطوان و بمصب أبي رقراق بقصبة الرباط التي أعادوا بناءها وتعميرها .

ومن هذين المركزين شرع (الموريسكيون) أو الأندلسيون المطرودون, في تنظيم حركة الجهاد ضد السفن الاسبانية على الخصوص , مستغلين في ذلك الأموال التي حملوها معهم وخبرتهم في ركوب البحر ومعرفة السواحل الأوربية .

و بذلك ساهمت الغنائم و النشاط التجاري المرتبط بها بتدعيم القوة الاقتصادية لسكان سلا و تطوان ما ساعد في ظهور كيانات مستقلة في المدينتين.

فاستقل موريسكيو تطوان تحت قيادة أسرة النقسيس المغربية، ومارسوا نشاطهم الجهادي بحرا بمضيق جبل طارق وبرا حول الثغور الشمالية المحتلة ، ورغم هذا لم يكن أقوى بما عليه في قصبة الرباط أو سلا التي اقتصرت فقط على الجهاد البحري و كانت سعة مينائها واتساع مجال نشاطها أكبر في منطقة تمر بها جل السفن الأوروبية .

لتسقط المدينتين تحت نفوذ الدلائيين بسبب تراجع النشاط البحري منذ ق 16م، وبسبب صراعات داخلية و قوى محلية و ضغوط خارجية.

-**الزاوية الدلائية:**

ينتسب الدلائيون إلى قبائل صنهاجة و موطنهم ملوية وخلال ق 14 انتقلوا إلى منطقة (الدلاء) الواقعة غرب الأطلس المتوسط ، حيث أقام احد أحفادهم ( أبو بكر المجاطي ) الزاوية الدلالية في 1566،وانقطع فيها للعبادة و الوعظ و الإرشاد ونمت الزاوية وتطورت خصوصا في عهد ابنه (محمد أبي بكر) الذي تولى زعامتها سنة 1612م.

اقتصر الدلائيون في بداية الأمر على الاهتمام بالجانب العلمي و الديني و حافظوا على ولائهم للسعديين رغم تدهور سلطتهم , وبدأ تطلعهم إلى القيادة السياسية بعد تولي (محمد الحاج) زعامة الزاوية في 1637، بحيث جهز قوة عسكرية واجه بها السعديين وانتصر عليهم و اقتطع منهم منطقة ملوية و تدلا، تم وجه أنظاره نحو المناطق الشمالية وتافيلالت والواجهة الاطلنتيكية، لكن سرعان ما تشتت قواتهم وتراجع نفوذهم أمام انفتاح عدة جبهات للصراع أمامهم .

-**الزاوية السملالية :**

تعرف هذه الزاوية باسم قبيلة مؤسسها سيدي احمد بن موسى السملالي قد ظهرت في ق 16 بتازروالت على السفح الغربي للأطلس الصغير.

وقد عرفت هذه الزاوية شهرة و نفوذا كبيرين في الجنوب المغربي بفضل النشاط الديني و العلمي لمؤسسها. ومع بداية الصراع بين أبناء المنصور أظهر أحفاد الشيخ نزوعا نحوا الاستقلال و الثورة ضد السعديين، خصوص بعد أن آل الأمر لأحدهم سنة 1613، وهو سيدي علي المعروف (بابي حسون) فقد تمكن من توحيد قبائل جزولة حوله وتأسيس إمارة غرب الأطلس الصغير، وبنى مدينة ايليغ وكانت مقر لحكومته، وضم أقاليم سوس و درعة وسجلماسة إلى أن امتد نفوذه إلى بلاد السودان في ظل تشجيع الأمراء للتجارة. وبذلك استقطبت الإمارة السملالية جزاء مهما من التجارة الخارجية أيضا ،لما وفرته مناطق نفوذها من ثروات اقتصادية هامة و منافذها البحرية إضافة إلى ما عرفته من استقرار نسبي في أوضاعها السياسية.

ورغم ما توفر للسملاليين من إشرافهم على النشاط التجاري فإنهم لم يتمكنوا من الحفاظ على هذا النشاط لأنهم لم يتمكنوا من الحفاظ على منطقته نفوذهم طويلا، فقد اضطرتهم قوة الأشراف العلويين الناشئة في تافيلالت إلى التراجع عنها و عن درعة سنة ،1646 لتجهز عليهم بعد ذلك في سنة 1670.

**خاتمة:**

بعدما تمكن المغرب تحت قيادة السعديين من إعادة وحدة ترابه وتحرير جل ثغوره، وإيقاف الأطماع الأجنبية التي كانت تهدد كيانه، سواء منها العثمانية أو البرتغالية التي أبعدها بصورة نهائية، ودخول عهد جديد من الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي خلال عهد المولى احمد المنصور، الذي اعتمد في سياسته الخارجية على تعزيز مكانة المغرب على الصعيد الدولي وتوسيع جدوده، جاءت فترة التدهور وتفكك المغرب بسبب ظهور حركات انفصالية في عدد من المناطق، وتعميق الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تعيشها البلاد، ومن ثم أصبح التطلع إلى قيادة سياسية جديدة قادرة على توحيد البلاد وإعادة الأمن والاستقرار ،أمرا مطروحا وبإلحاح في أواسط القرن17م.